

الشك أن ابن مالك كان ذا ثقافة واسعة وأسلوب عربي أدبي سليم^(١) مكنه ذلك من القدرة على استيعاب النحو العربي بمسائله وقضاياه التركيبية والتصريفية إلى جانب الأمثلة والشواهد المتنوعة وصوغها في هيئة منظومة دون أن يفلت منه الوزن أو القافية التي كان يلجأ للتغلب عليها إلى تصريع الشطرين للانتقال من صورة إلى أخرى من صور الرجز بالرغم من طول المنظومة النحوية وبالرغم من أن الفحول القدماء من الشعراء قد وقعوا في عيوب القافية، ويبدو أن الدكتور عبد العال سالم مكرم وازن بين نظم ابن مالك وبين نظم غيره من علماء العربية في مختلف العلوم والفنون أو أنه حكم بسهولة المنظومة وبساطتها لأنه درس المنظومة النحوية لسنوات طوال هي سنى دراسته كما درّسها لسنوات طوال أخرى فبدت له هكذا.

فمن غايات العلماء المحافظة على اللغة العربية من الفساد واللحن في شتى العصور حيث إن طباع أهل الحضرة اللحن، لاختلاطهم بالأعاجم^(٢).

ولاشك أن الاستعانة بنظم قواعد علم النحو والصرف مما يحقق هذه الغاية، حيث يسهل حفظ القواعد، وضبط إعراب الكلمات وتصوير حركاتها، وإعجامها، والألفيات لها شأن عظيم في هذا المجال ولكن تحقق ذلك لن يتم إلا بأن يتوفر للقاعدة النحوية عنصر البساطة وأن يتوفر للمنظومة عنصر الوضوح حين إذن يتحقق للمنظومة النحوية أن تؤدي الوظيفة التي وضعت من أجلها والتي غير بها نظام التأليف النحوي عند العرب في مرحلة من مراحل الطويلة الممتدة فقد سبقها بسط للقواعد في مطولات ومختصرات أيضاً لم تكن منظومة وكانت تسمى بالمقدمات ثم تلتها مرحلة الرجوع إلى المطولات مرة أخرى ولكنها مطولات تعليمية تكثر فيها الشروح والتعليقات والإكثار من الأمثلة والشواهد والتدريبات والحقيقة أننا لانعدم الوضوح في منظومة ابن مالك فهناك مجموعة ليست قليلة من الأبيات

(١) يوهان فك، العربية، ص ٢٨٨، ترجمة د/ عبد العظيم النجار، مطبعة دار الكتاب العربي،

١٩٥١م.

(٢) القفطى، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج ٤، ص ٨٢٧. ط دار الكتب، ١٩٥٥م.